أزمة الرواية العربية في ظلّ المتغيرات الحضارية

– الهوية بين التخلي والحنين–

أ. هاجر مباركي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)

إنّ الخوض في الرواية العربية المعاصرة ، يفتح المجال أمام الكثير من القضايا الإنسانية كونها أضحت أساسا في عملية التغيير المرتبطة بالفكر والوعي العربيين، ومردّ ذلك هو طبيعة الجنس الروائي نفسه المتعامل مع الواقع والناس والتجربة أكثر من أي جنس آخر :"إنّ النصّ الروائي ليس مجرد رسالة من منشئ إلى متلق...بل هو في إطار يجمع مستويات خطابية مختلفة ومتداخلة لانّ كاتب الرواية لا يشيّد رسالة فقط، بل يعمل على نقل مجموعة من الرسائل" **(1)**.

لابدّ من إشارة سريعة إلى التحوّلات العميقة التي يعرفها هذا الجنس الأدبيّ في الوقت الراهن، تقديما لرؤية أكثر نضجا لدور الرواية في مسايرة التطوّر الحاصل في ظلّ النظام العالمي الجديد.

يعيش كتّاب الرواية المعاصرة أحداثا مهمّة،تتباين فيها انفعالاتهم كلّ على حسب ثقافته ومزاجه ومعتقده، وبهذا خرجت الرواية العربية إلى آفاق وتطلّعات حضارية،ليكون النّص مساحة للقاء الثقافات وتفاعلها ووسيلة للكشف عن الذّات وتأصيلا للهوية والكيان القومي ليؤكّدوا أنّ" حياة الأنا ليست مرهونة بموت الآخر لأنّ الذاتية لا تناقض بالضرورة الغيرية"**(2)** فهل استطاع هؤلاء فكّ الحصار عن الشخصية العربية ؟ وهل أوجدوا سياقا فكريّا ينبع من همومها ومحيطها ولغتها؟ وكيف يتعامل العربيّ اليوم مع زمن التحوّلات الكبرى؟

تجابه الرواية العربية اليوم قضايا مهمّة أبرزها الحديث عن الهويّة، هذا الكيان المتحرك المتطوّر، كونه من المفاهيم التي تضخّمت بشأنه الدراسات والأبحاث العلمية، إلى جانب الحديث المستفاض عن الحروب الأهلية والسياسات العربية المتباينة، من خلال رحلة اكتشاف للذات وللآخر، لتأخذ لغة الحوار مع الآخر حيّزا مهما ؛ هذا الآخر الذي بدأ يكثر حضوره في النصّ الروائي نتاج الاحتكاك بثقافته ، ليشغل مساحة معظم الأعمال الروائية العربية، مع ما يحمله هذا التوجّه من خصوصية وحساسية في ظلّ غياب الحوار البنّاء، "فالتواصل يقتضي التعزيز التّام لثقافة الحوار والعمل على نشرها وتعميم قيمها وتفعيل آلياتها لأنّ غياب الحوار يعني حضور التوتّر وسوء الفهم والاندفاع باتّجاه الخصومة والتناحر".(3)

تأسيسا على ما سبق؛ ندعو إلى عدم إغفال آليات التقارب الفعلي التي تقتضي حضور الحوار والتوافق كمتطلبات أساس للتواصل ضمن نظام جديد، اقتحم فيه الفن الروائي المناطق الملتبسة التي تحفّ مشاعر وتجارب الذات، في عالم يمور بالتحوّلات والارتجاجات لتعلن النماذج الروائية العربية ميلاد محطة جديدة في الكتابة الروائية .

إنّ الإنسان منذ أن وجد على وجه المعمورة وهو في تفاعل مستمر مع محيطه الفيزيائي عن طريق التكيّف أو الاصطدام، ثنائية التفاعل المباشر مع الواقع والتي لقيت استجابة واسعة في الأوساط الفكرية والأدبية الداعية إلى تعميق فهم الذات لتحديد رؤاها الخاصة.

اقتحمت الرواية المعاصرة أكثر المواضيع سخونة واستطاعت أن تخرج بالوعي من الرتابة والركود إلى الانفتاح، في مساق الإنصات إلى الآخر الغيري داخليا كان أو خارجيا.لقد تسارعت أقلام المفكرين إلى البحث في الذات والهويّة وخصوصا الهويّة الثقافية التي تعتبر الإطار الحافظ والعمود الداعم لكل النشاطات.

كثيرون هم من تلامسهم عزلة الموطن وعزلة الزمن، الذي صار اليوم لصيق العولمة في أكثر البقاع العربية، ليظهر الشعور بعزلة الانتماء والاغتراب وضياع للهوية،محدثا ارتباكا لأزمنة الأديب، إذ نجد الواقع العربي اليوم يعيش حالة من عدم التوازن المجتمعي وتعثّر في ملاحقة التطورات الحضارية ، في ظلّ تغييب واضح لتفعيل الهويّة في الوجود الاجتماعي الشامل،مع تجاوزات صارخة لأطر الذات المعرفية وهذا ما جعل الكثيرين يدعون إلى حضور الذات في عملية المثاقفة بمزيد من التعرف على الثروات المعرفية والثقافية المختزنة وخلق للاندفاعية القويّة والضرورية لفهم الثقافات المغايرة :"يجب أن يصدع الرأي العربي بوجوب التفاعل الثقافي من منطلق النديّة والتكافؤ بعيدا عن الاستعلاء أو الاحتقار وبمنأى عن التباهي بماضي الأنا أو التماهي في الآخر دهشة وانبهارا، ففي كلا الأمرين يدعو إلى التقاعس والتكاسل وما يوقف فاعلية الانجاز المبني على حرّية الإنسان في صورتها الحقيقية"(4)

اتّجه العديد من الروائيين إلى البحث عن الهوية، لارتباطها الوثيق بالشخصية الفردية أو الجماعية الوطنية، في خضم صراع الإقصاء والاستيعاب الذين فرضهما واقع المواجهة الحضارية بين الذات والآخر ، في ظل الاختراق الثقافي وإيديولوجيا العولمة .

ليس بالضرورة إذا تحدثنا عن جدلية الأنا والآخر أن تنحصر في الشرق والغرب، بل تعددت هذه الجدلية وتباينت أشكالها، لتتجسّد في المكان أو الديانة أو حتّى الانشطار الذاتي ، ليتشكل في هذه الأجواء المشحونة آخر "جواني("5) داخلي، تبدأ معه رحلة الذات المأزومة الممزّقة، التي تتجاذبها الصراعات الداخلية فتحدث شرخا فيها، لتجعل من الأنا مبعثرة متشظية: "فالآخر هو الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية وتقويضها في الآن نفسه وهو يتداخل ويتمرأى في سلسلة غير منتهية تبدأ من أدقّ الإنشطارات الذاتية في علاقة الذات بالذات...ولا تنتهي إلاّ بانتهاء الوجود البشري في الزمان والمكان...فالفرد يمكن أن يكون آخر حتى بالنسبة إلى نفسه في مدة قصيرة ويتحوّل إلى آخر بعد مدّة قصيرة"(6).ولقد كانت ثنائية "اللص والكلاب" لنجيب محفوظ رائدة في إبراز هذه الثنائية التي تمزق الأنا.

إذا كان بعض الروائيين قد آثر القبول والاحتفاء في نظرته وتوجّهه الفكري نحو الآخر في قولهم :" إنّنا بحاجة إلى أعمال تعلن للآخرين أن منطق العزلة والجدران والكواليس قد تهاوى وانّه ليس بإمكان الإنسان أن يلتقي مع الآخرين فحسب بل أن يعانقهم ويقول لهم ما يشاء وأنّ بإمكان الأحمر أن يلتقي مع الأخضر والأبيض مع الأسود لا ليصوروا لنا التمزّق والتناقض والرعب بل التوافق الذي يحكم سنة الحياة"،(7) فانّ البعض الآخر يميل إلى الصورة المركبة والمشوشة عن الآخر في استقراء لعلاقته بالذات، مشدّدين على ضرورة المحافظة على الكيان الذاتي وتعزيز الثقة بالفكر والقدرات الشخصية، تأسيسا منهم لمفهوم الهويّة من خلال الدعوة إلى القومية العربية، وإرساء الهوية الثقافية باعتبارها الرصيد التاريخي الذي يستمد منه الأفراد انتماءهم.

لعلّ أقرب ما يتبادر إلى الذهن من خلال التوجّه الداعي إلى الاحتكاك والتواصل المباشر أنّ التفاعل مع الآخر الغيري من منطلقات ثقافية؛ تأكيد بأنّ حجر الزاوية في التواصل هو التكافؤ والنديّة بعيدا عن الانعزالية والاختزال، نظرا للمصالح المشتركة بيننا وبين الآخر، ويتحقّق ذلك بفتح مجال للحوار الحضاري وإحلال لغة الثقافة كبديل لا غنى عنه للغة العنف وفرض السيطرة، "فلقد أصبحت قضية الحوار في عالمنا المعاصر قضية ملحّة على جميع المستويات فنحن نعيش في وقت تشابكت فيه المصالح...وقد يكون الحوار محليا إقليميا أو عالميا ...وعلى جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية...من هنا يمكن القول بان الحوار قد أصبح ضرورة من ضرورات العصر للتغلب على المشكلات الواقعية في عصرنا".(8)

إنّ الروائي العربي يعيش اليوم في عصر تحطمت فيه الحدود الثقافية،فيسر تبادل المعلومات والخبرات جعله يتابع ما يحصل عالميا، فكان منه التحدّي المستمر للممارسات السابقة، لكنّ هذا الانفتاح والتطلع على عالم الآخر أحدث لديه إرباكا واضحا في غياب المناخ المناسب والمستلزمات الموضوعية لإنضاج رؤيته، ليجد نفسه رهين النزعة الاتّباعية المتعصبة وحيدة الاتجاه، التي لا ترى في الآراء إلا المختلف المرفوض والمتفق المقبول، وهذا ما أحدث عند الروائيين العرب هاجس الكشف عن الهويّة الذاتية ، التي صار يعتريها الغموض والالتباس، لما تعيشه من الانقسام بين هوية متسامية متشبثة بخصوصياتها وأخرى تبحث عن التغيير .

لكنّ السؤال الذي يبقى مطروحا هو: ما هي الحواجز التي تقف وراء تراجع الذات العربية أمام ما يقدمه الآخر من بنى ثقافية وفكرية؟ لماذا صارت الهوية محلّ المساومة إمّا التخلي عنها وفقدانها على مذابح التضحية تحت وطأة الآخر، وإمّا الركون إلى الذات في سلوك إنعكافي إقصائي، مبرراته الحفاظ على القومية العربية والخصوصية الثقافية والحضارية؟.

واضح في نظرنا أن كلا الاتجاهين يتّسم بالمبالغة في الطرح الفكري .ففي الوقت الذي يدعو فيه أصحاب الاتّجاه الأول إلى امتداد شرعي مع الآخر، يتحوّل فيه إلى بديل لا غنى عنه يملك الحلول للأزمات المحلية، فتتهاوى معه مجموع الدلالات التي تشكل عضوية الفرد وتحدّد انتماءه ، ليجعل من الهوية قربانا لصحوة حضارية وفكرية بحجة النفور من تيارات النقل الجامدة وآليات التفكير التي يشوبها القصور، بينما ينتقد أصحاب الاتّجاه الثاني ما يسمونه بالانسلاخ والخنوع إلى الآخر، رافضين لكلّ انتماء يهدّد الهويّة الذاتية مع الإصرار على الاتّجاه المستمر والدائب إلى البحث عن الجذور العميقة والعودة إلى الأصالة الذاتية والتمسّك بها . هناك تيّار يتوسّط المساحتين يتحدث عن علاقة تتمحي فيها الذوات المتحاورة كأداة للبحث والسعي الجاد وراء الفكر الحرّ الأصيل ويلخص هذا التوجّه قول الدكتور مصطفى عبد الغني، الذي يرى أنّ الاقتراب أكثر من الهويّة والوصول إليها:"يظلّ مرهونا بمعرفة الآخر الغريب ففي مرآة الآخر مهما تكن درجة صفائها أو قتامتها يمكن في رحلة البحث عن الذات الوصول إليها والركون لها.("9)

لا يزال البحث عن الهوية و ليس فيها ، قضية تتصاعد بحكم الظروف المعاصرة. فلقد برزت وجها مهمّا جدا في تأجيج الصراع وأيّ صراع أشدّ ضراوة من الصراع على الهوية. اتّجه الفكر العربي بهذا المنطلق إلى المنحى الإيديولوجي من خلال مواقف الذات واختياراتها التي تحدد مواقعها ضمن السياق الثقافي العام.

عالجت الرواية العربية الانتماء والهوية بكثير من الإسهاب ، لتطرح ضمنيا تساؤلات عدة حول المفاهيم التي تحدد الهوية ليكون تأكيدا صريحا من المفكر العربي على عمق القضية وخطورتها. يقول الدكتور مصطفى عبد الغني:" إنّ الحفاظ على الهويّة يظلّ من أهم العوامل التي وجب التنبّه إليها" (10)، في ظلّ واقع أصبح فيه الانتماء إلى السلطة هو الإمكان الوحيد للانتماء إلى الوطن ، فاختزلت مسالة الهوية لتصبح شعارا أجوفا يتغيّر بتغيّر السلطة و أصبح الانتماء لحالة أو لظرف أو لسلطة ، ليفقد بالتالي كلّ مقومات الانتماء الطبيعي ، ومن هذا المنطلق ظهر بطل الرواية العربية شخصا اغترابيا تتشظّى ذاته ليعيش الهزيمة والانشطار، وهذا ما مثّله عبد الرحمن منيف في رواية *الأشجار واغتيال مرزوق*وغسان كنفاني في *عائد إلى حيفا*، وغيرها من الروايات التي كان البحث عن اللاشعور القومي والوطني والدفاع عن الشخصية العربية في خضم الموجة الآخرية العاتية على الوطن بؤرة اهتمامها.

تتوزّع المساحات الروائية العربية المعاصرة، لتجيب عن هذه الانشغالات ضمن اهتمام أساس يطمح إلى تقديم إطار أشمل للوعي بمفهوم الآخر وطرق التواصل معه، مع محاولة فهمه من منطلق فهم الذات ووعيها .

إنّ البحوث المتوالية في الرواية ، تكشف عن الازدياد الملحوظ لفوبيا الهويّة في واقع تتفاقم فيه الأزمة الفكرية، في ظلّ الاحباطات المستمرة والهزيمة التي يعيشها الفكر العربي.

إنّ الغريب في الأمر الرؤية المتشائمة من لدن البعض، التي تعزو إلى الانطواء الداخلي وإيثار الغيــاب علـــى الحضور، لتجد أنّ الابتعاد عن الآخر وعملية الإقصاء المطلقة هي أنجع الوسائل للحفاظ على الهويّة الذاتية ، خوفا من أيّ تهديد قد يمسّ الهويّة أو الانتماء.متسبّبة بهذه المنطلقات الضيّقة في فقدان إيقــاع التواصــل الحضــاري والتنــاغم الفكري، بنظرة أحادية البعد، تصوّر الآخر إمّا البلاء والشيطان، فيفقد كل صفة إنسانية و إمّا ملاكا بعيدا عن الحقيقــة والموضوعية . يجدر بنا الإشارة وبخطوط عريضة إلى أنّ هذا التصوّر السلبي في سلوك الذات والفكر العــربيين إزاء المتغيرات الفكرية والحضارية هو تشخيص– نأسف لوصفه –مرضيا ، وللدكتور لحمداني حميد رأي واضح في هــذا التوجّه الفكري الرافض للاستجابة مع الواقع بقوله:"إنّه حالة مرضية تتّصف بالانشطار الذاتي والتوزيع بــين الخرافــة والعلم" .(11)..ممّا يزيد في اعتقادنا ثبوت هذه الفكرة ،أنّ الخطاب الروائي تجربة إبداعيــة، تفــتح مجــالات رحبــة لاستيعاب ما في الواقع الحضاري من نتاج فكري. فالمشكلة كلّ المشكلة هي أنّ الهوّة تزداد عمقا في غيــاب التفاعــل الايجابي والقطيعة، ليتوصّل الفكر الذّاتي إلى أنّ الحوار والتواصل ليس إلاّ استلابا للهوية القومية "فمفهوم الغير أضحى مفهوما سلبيا في صورته، لانّ كلّ ما خرج عن الذات صار غيرا أي غريبا والغريب متّهم في غرابته لأنّه مجهول وكلّ مجهول مخيف"(12) .

إنّ القضية في اعتقادنا لا تستحق كلّ هذه القتامة في النظرة، فالحضارة لم تكن لتهدف إلى اقــتلاع الأصــول العربية من جذورها أبدا ولم تكن لتسلبها مقوماتها الأساسية التي تشكّل ذاتها.بل هي أسمى مــن هــذا المنطلــق ،لانّ الخوض في فضاءات ثقافية حضارية من خلال الاحتكاك المباشر وغير المباشر بالآخر، لا يفقد بأيّ حال من الأحــوال الذات هويتها وانتماءها .فالوعي بالذّات لايمكن أن يتحقّق بشكل تام إلاّ في إطار الوعي بالآخر ،لأنّه "بالحوار نخــرج من الانفصال إلى التواصل، من الموت إلى الحياة ونعاني الجوهري في حياتنا كتابة وممارسة، لنعثــر علــى صــيغة تجمعنا وتوحدنا ،تدفعنا إلى مناطق أكثر إضاءة واكتمالا ،اشدّ روعة وجمالا وأعظم قيمة ووجودا".(13)

إنّ الأعمال الروائية التي تجاوزت الرؤية الوحيدة الجانب لتعكس مفهوما جديدا للعلاقة بين الذات والآخر، بعيدا عن نرجسية الأنا والجماعة وبمنأى عن الاستلاب والخضوع للآخر، أضحت تثير انجذابنا الفطري ،كونهــا لا تلغــي المشترك الإنساني والثقافي ولا الموروث الفكري، باعتباره من أهمّ ركائز الهوية الثقافية. فالآخر وإن كان ينتمي إلـــى معسكر الأعداء، قد يكون إنسانيا ربما أكثر من الجار المحسوب على معسكرنا.

أبرز مثال روائي لهذه المساحة الحضارية الرحبة المنفتحة على المثاقفة، أعمال الروائي اللبناني أمين معلــوف الذي يضع الرواية جانبا ، ليكتب عن همومه كمواطن يقف بين شرق منهك وغرب بلغ غاياته، في محاولة جادة للبحث عن مخارج ممكنة للأزمة القائمة بينهما.

تناول معلوف مسألة الهويات بكثير من الإسهاب، بإبراز صورة الآخر الداخلي والخــارجي، كمقــوّم ومكــوّن أساسي في بنية الوعي بالذات، ولقد وجدت ثنائية الذّات والآخر استجابة روائية واسعة النطاق عنده؛ كشف من خلالهــا عن اهتمامات المفكّر العربيّ الوطنية والقومية في تفاعله مع الآخر، فمن أهم رواياته، "**الحروب الصليبية كمــا رآهــا العرب**" الصادرة عن دار النشر لاتيس (Lattes).صدرت هذه الرواية سنة1983في مرحلة دقيقة كان الحــوار بــين الشرق والغرب يشوبه سوء التفاهم، وكانت الحروب الصليبية مثار جدل تاريخي وديــني بــين المــؤرخين والعلمــاء والمستشرقين الغربيين، وعلماء الاجتماع والسياسة.

شكلت روايات أمين معلوف حدثا أدبيا وثقافيا، لأنها نقلت إلى الغرب عبر لغة من لغاته ،كما قــدمت جوانــب مشرقة للحضارة العربية؛ الهدف من ورائها إقامة حوار من نوع مختلف.

وهذا ما سعى الكاتب لإبرازه في **سمرقند** ،التي يستعرض الروائي في حيز ظاهر منها، ثنائية الأنا والآخر الممثلة في الشرق والغرب، محاولا إيجاد مسافات مشتركة بين الذات والآخر،إذ تكشف الرواية في مضامينها عن انشغالات أمين معلوف الروائي العربي، المتعلقة بالواقع العربي في علاقاته مع الآخر. ،

استعرض أمين معلوف بعض القضايا الفكرية المتصلة بالواقع العربي وهواجس المفكرين، مركّزا على أزمة الذات وتشظيها في ظلّ المتغيرات الحضارية. ليتمثّل من خلالها محنة المثقف والمفكر في وجه المجتمع والسلطة؛ فكان مساره الروائي رحلة الإنسان الباحث عن الحقيقة، مجسدا في عديد رواياته أهمها"**ليون الإفريقي ،موانئ الشرق الهويات القاتلة** ،وغيرها من أعماله الأدبية التي تحمل سمة مشتركة وهي التسامح ، لتمثل خاصية واضحة في كل أعماله وفق علاقة ايجابية بين الأنا والآخر.

اللافت للنظر والاهتمام ،الرؤية الجديدة التي وقّعها أمين معلوف للشخصية الغربية والتي أرادها إنسانية في علاقتها مع الذات الشرقية،ليرصد من خلالها الروائي مواضع التلاقي والافتراق بين القطبين الذات والآخر ،مؤكّدا على ضرورة مدّ جسور الحوار لتحقيق التوافق،مستظهرا التحوّلات العميقة التي لحقت بحضارة الذات مقابل الآخر.

"خلل العالم" الصادر عن دار **غراسي(Grasset)**، في نظرنا من أهمّ إصدارات أمين معلوف، دون أن نغمط القيمة الأدبية والفكرية لرواياته ، فخلل العالم صرخة غضب حادة ، نظرا للهموم الحضارية التي تشغل الكاتب بسبب الانهيارات الحضارية والثقافية والإيديولوجية التي نعيشها ، وليس غريبا هذا القلق في توجّهات معلوف لأنّه حمل على عاتقه – في معظم كتبه التي ترجمت إلى لغات عدّة– إيجاد سبل المحافظة على المشترك الإنساني التي تحافظ على العالم بكلّ متغيراته الثقافية والحضارية .

إنّ هذه الوقفة تطرح في منظورنا ،هواجس المثقف العربي الذي يكاد يفقد دوره في التغيير على الإطلاق لينفتح على ثقافة الاستهلاك في إطار غيرية داخلية.تنشأ عن عدم الانسجام والارتباط بالآخرين ورفضهم ، أو عدم القدرة على التلاحم معهم. ومن هذا كلّه تنشأ أحاسيس متباينة وشعور دفين بالخوف والقلق والاضطهاد و بالتالي تتعثر سبل التواصل مع الآخر وتتمركز الذات وتتحصن خلف أسوارها،معلنة القطيعة مع الآخر وعليه أصبح لزاما تنمية سبل الحوار الحضاري، مع ضرورة تعزيز الحوار من خلال الممارسة، فلا جدوى من حوار فردي ونظري لأنّه سيظل ناقصا، فالاقتراب أكثر من الهوية والوصول إليها"يظلّ مرهونا بمعرفة الآخر الغريب ففي مرآة هذا الآخر مهما كانت درجة صفائها أو قتامتها يمكن في رحلة البحث عن الذات الوصول إليها والركون لها"(14)، لهذا لابدّ من تحديد مقوّمات الحوار و إدراك قيمته وتوصيف فضاءاته ليكوّن بناء متكاملا مع الآخر.

شكّلت الرواية من هذا المنطلق، منحى يتّكئ على انشغالات الأدباء الوطنيّة والقوميّة في تفاعلهم مع الآخرين، ولن يحقّق هذا التفاعل إيجابية، إلاّ إذا تجاوز المفكّر العربيّ قيود الذّاتية، وأوجد نسقا واضحا للأدب الحواريّ مع الآخر، ينفتح من خلاله على حضارة الشعوب وثقافتها، فيكشف عن جوانب القوّة والضعف بها، وكذلك عن التيارات الفكرية والروحية لها. . "على الأمم حين استيعابها لعواصف التحول أن لا تفقد كياناتها وتنقص من الثقة بفكرها وقدراتها وان لا تنتهي إلى السقوط تحت أي من ضغوط التهميش و مقاصد التسطيح أو محاولات فقد الهويّة أو الرضا بالتبعية والاستسلام أو التنازل والانكماش ...أو تصور إمكانية الانعزال على الآخر أو التوقف عن مواكبة المرحلة ومسايرة متطلب الفترة."(15)

الخاتمة:

نتوصّل في تعقبنا للمسار الروائي العربي المعاصر بحثا عن الهوية، إلى أنّ الواقع العربي لازال يعيش إشكالية الصراع بين الرفض المطلق للآخر،آلياته الانغلاق الكلّي وما يتبع ذلك من ردود فعل سلبية تتصل بالعدائية للاختراق الثقافي تحصينا للذات و بين موقف قبول تام شعاره الانفتاح على العصر والارتماء في أحضان العولمة والاندماج فيها

كونها ظاهرة حضارية عالمية لا يمكن الوقوف ضدها ولا تحقيق التقدّم خارجها. ومن خلال هذا نكون قد رصدنا بعض الأسس الفكرية العربية من خلال النّص الروائي، لنتوصل إلى أنّ الحلّ للازمة الحضارية التي تعيشها الذات هو: ضرورة تأكيد التعايش الثقافي بين الحضارات وتوفير المرونة والتسامح، مع الاستعداد لقبول الآخر واحترام خصوصياته ، بعيدا عن التماهي معه من باب الدهشة والانبهار وكلّ ما له صله بفقدان الثقة في ثقافة الذات .

إنّ الواقع الحضاري المعاصر يفرض على جميع الأطراف مهما بلغ التباين بينها تعزيز ثقافة الحوار، التي من شأنها حلّ النزاعات وتحقيق التقارب بين الأقطاب المتباعدة و لايتسنى لنا إدراك الآخر حضاريا وفهم حركة تطوره وصيرورته التاريخية إلاّ بسبر أغوار الذات ؛ فنحن اليوم أحوج من ذي قبل إلى تقبّل الآخر ومحاولة فهم طريقة تفكيره والتعرّف على خصوصياته، لإزالة اللبس وسوء التفاهم الموجود في العلاقات التي تعرف في عصرنا هذا التوتّر المستمر، قصد تعميق فهم الذات والتغلّب على المشكلات الواقعية في عالمنا ولكننا في حاجة كذلك لمقاومة الاختراق وصون هويتنا القومية وخصوصياتنا الثقافية من موجات الغزو الحضاري.ولا يخفى على أيّ مفكر عربي مهما كان توجّهه الفكري، أنّ نجاح الأمم مقرون بالحفاظ على الهويّة والدفاع عن الخصوصية.

لعلّنا اليوم أحوج من ذي قبل إلى التواصل الإيجابي بعيدا عن السلبية والإقصاء في ظلّ أزمة النهضة العربية وفقدان الثقافة لقدرة التجديد ، كما علينا تحرّي الحقائق والابتعاد عن الانقياد ، ولا يتحقق ذلك إلاّ بالذوات الفاعلة المستقلة وإغناء الهوية ، فالواقع الحضاري الراهن يوضّح أنّه لامناص أمام الأمم الإنسانية من التعاون والتآخي .فمتى نحقّق مشروعا عربيا متكامل العناصر ثابت الأسس بشكل يخلو من التعقيد وفق الأسس الفكرية العليا ليحق لنا الحديث عن الخصوصية والأصالة والحديث عن هوية عربية والوحدة بين الشعوب العربية وأقطارها بخطوات عقلانية؟ فلا تكون الهوية معطى جاهزا ونهائيا ..

الهوامش والإحالات:

1- الدكتور عبد الرحيم الكردي "**السرد في الرواية المعاصرة**"- الرجل الذي فقد ظله نموذجا -تقديم د طه وادي ص 108.ط1 مكتبة الآداب القاهرة 1427ه- 2006م .

2-إبراهيم رماني"**أوراق في النقد الأدبي**"دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة ط1 1985ص145

3-**د** أمان عبد المؤمن قحيف" **إشكالية الصراع والتعايش بين الحضارات**" مكتبة الآداب القاهرة ط1 2007 ص287

4- عبد الله التطاوي "**الحوار الثقافي مشروع التواصل والانتماء**" ط1 الدار اللبنانية المصرية 2006 ص37

5-د لبيب الطاهر "**صورة الآخر ناظرا ومنظورا إليه**" مركز الدراسات الوحدة العربية الجمعية العربية لعلم الاجتماع .ط1 بيروت أغسطس 1999ص22

6-صلاح صالح **سرد الآخر:"الأنا والآخر عبر اللغة السردية"**.المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط1 2003 ص10

7- عماد الدين خليل "**في النقد الإسلامي المعاصر**" مؤسسة الرسالة ط4 بيروت 1987 ص200 ،

8- محمود حمدي زقزوق" **الإسلام في عصر العولمة**" دار الشروق ط1 القاهرة مصر 2001ص67

9-**د** مصطفى عبد الغني **الاتجاه القومي في الرواية** عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت أغسطس 1994ص99

10- **د** مصطفى عبد الغني **الاتجاه القومي في الرواية** عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت أغسطس 1994ص89

11- د لحمداني حميد .**الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي دراسة بنيوية تكوينية** دار الثقافة المغرب ط1 1985 ص342.

12- دعبد الاله بن عرفة "**مقال بعنوان: "الغيرية احد مباحث الوجود**" ص30

13- ابراهيم رماني **أوراق في النقد الادبي** دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة ط1 1985 ص147

14- د.مصطفى عبد الغني "**الاتجاه القومي في الرواية**" عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت أغسطس 1994 ص100

15- عبد الله التطاوي "**الحوار الثقافي مشروع التواصل والانتماء**" الدار اللبنانية المصرية 2006 ط1 ص41.